أمل الفقير

كان عند التِّبريزيِّ رجلٌ غنيٌ جداً اسمه بدر الدين. . ذاع صيتُهُ بالكرم وانتشرَ بين الجيران، وكان يسكن في جوارِهِ رجلٌ فقيرٌ، وعند سماعِهِ بكرمِ بدر الدين بدأ بالاقتراض من الناس، وكان واثقاً من أنَّه بعد ذلك عندما يذهبُ إلى بدر الدين ويطلب منه نقوداً ليُسدِّدَ ديونَه سيعطيه كلَّ ما يريد.

ـ أذهبُ إلى التِّبريزيِّ أقابلُ بدرَ الدين، ونصيبِي من جودِهِ وإحسانِهِ سَيَفي ديوني.

وبعد أنِ اقترضَ كثيراً ذهب إلى التِّبريزيِّ؛ ولكنْ وهو في الطريق توفِّي بدر الدين! وعندما سمع الرجل الفقير أنَّ بدر الدين توفَّاه الله حزن حزناً شديداً وبكى طويلاً، وذهب ذاتَ يومٍ إلى قبرِهِ وقال مخاطباً القبر:

ـ آه يا صاحب الكرم والجود؛ لقد اقترضْتُ كثيراً، وكنتُ واثقاً وطامعاً بكرمِكَ وجودِكَ، فماذا سأفعل الآن؟

ولم يتمالك نفسَهُ بعد أنْ تذكَّرَ ديونَهُ، وأخذ يبكي بصوتٍ عالٍ.

في تلك الليلة رأى أحدُ أصدقاءِ بدرِ الدين أنَّ بدرَ الدين جاءَه في المنام وقال له:

ـ يوجد فقيرٌ اقترضَ من الناس وكان واثقاً من أنَّني سأفِي ديوَنه، ولقد خبَّأتُ في المكان الفلانيِّ نقوداً تكفي لسدادِ ديونِهِ؛ اذهبْ وأخرجْ تلك النقود من مخبئهَا وأعطِهَا لذلك الفقير.

وعندما استيقظ هذا الصديق من نومِهِ ذهب مباشرةً إلى المكان الذي حدَّدَهُ له بدرُ الدين في المنام، وأخرج النقود وذهب إلى القبر، فوجد الرجلَ الفقيرَ مازال يبكي، فأعطاه النقود وانصرف.

المولى ﷻ هو الكريم بلا حدود، وهذا الرجل ـ بدر الدين ـ يعلِّمُنَا حبَّ وآدابَ الكرم، وعندما يكون توكُّلُ الإنسانِ على الله حقَّ التَّوكُّلِ، سيكون شاهداً على عطايا

ربِّ العالمين التي لنْ يعرفَ من أين ستأتي، ولنْ يتوقَّعَ ممَّنْ ستحصل أو يحصل عليها.

وفي الحقيقة.. إنَّ ما نراه من رحمة الله بالناس وتلطُّفه بهم، هو بسبب اعتمادِنَا وتوكُّلِنَا عليه، وإذا عمل الإنسانُ ثم توكَّلَ على الله مولاه؛ سيفتحُ له خزائنَهُ، ولن يتخيَّلَ الإنسانُ ما الذي سينالُهُ من عطايا ربِّهِ.